بناء الأجيال وأي جيل نبني

بناء وتربية الأجيال أمر من الأمور المهمة في الحياة، وهذه التربيـة لا بـد أن تقـوم على أسـاس قـوي من المنهج السـليم، والعقيـدة الصافية التي لا يخالطها أي شائبة؛ لأن التربيـة قضـية من القضـايا الجوهرية في الأمة، ولا بد من توفر المربي المتمكن، والناجح الذي يستطيع أن يصنع الأجيـال وفـق مـا تمليـه علينـا عقيـدتنا، ويقـرره ديننا.

وتربية الأجيـال لهـا عـدة أطـراف لا بـد من أن تجتمـع لتحقـق هـذا الهدف وهو إخراج الجيل الفريد، وهذه الأطراف هي:

- **الأسرة.**
- **المدرسة.**
- **المعلم.**

فهذه الثلاثة العناصر هي الأركان الأساسية التي تقوم عليها قضـية تربية وبناء الأجيال، وإن اختل أحد هـذه الأركـان، أو ظهـر القصـور في أحدها؛ أثر ذلك سلباً على عملية بناء وتربية الجيل المسلم.

إن الهدف من تربية الأجيـال هـو إخـراج جيـل على منـوال السـلف الصالح، متمسك بدينـه وعقيدتـه الإسـلامية وفـق ضـوابط ومعـايير

معينــة ليتم إعــدادهم الإعــداد المناســب الــذي يبصــرهم بــدينهم، ويحميهم من كل مظاهر الغزو الثقافي الذي يسعى الأعداء لنشـره في أوساط الجيل بهدف إخراجهم وإبعـادهم عن عقيـدتهم، ونشـر الرذيلة في أوساطهم.

ونحن في هذا المقام لا بـد من أن نتطـرق لأركـان التربيـة الثلاثـة؛ كي نتعرف على الواجبات المناطة على كل ركن من هـذه الأركـان؛ سعياً منا إلى أن نضع ولو شيئاً يسيراً في هذا الموضوع لننظـر إلى الهدف المراد من هذا الموضوع.

أولاً: الأسرة:

الأسرة هي اللبنة الأولى في التربية، والتي تقع عليهـا المسـؤولية العظمى في بناء الأجيال، وتخريجهم إلى الواقـع، ولهـذا فـإن اللـه أمـر على أن يـترحم العبـد على والديـه بسـبب تربيتهمـا لـه فقـال: {وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}[1]، وحين تربي الأسرة طفلها فإنها تشـكل اتجاهاتـه وميولاتـه وفـق معـايير معينـة؛ لتعينهم على تكوين النظرة السليمة للحياة، وهذه التربية مقترنة بـالتعليم الـذي يصـقل ملكـات الأفـراد، وينمي مـواهبهم بهـدف تهـذيب الأخلاق، وإبعادهم عن كل طرق الانحراف والضياع، وهنـا فـإن على الأسـرة أن تربي الأبناء على عدة أمور منها:

1) **على الأسـرة أن تـربي أبناءهـا على حب اللـه - عـز وجـل -، والأدب معه، ومع كلامه، ومع رسول الله - صلى الله عليه وآله**

وسلم -، ومـع كلامـه، وغـرس ذلـك في نفوسـهم، وتنشـئتهم عليه، وفي هذا امتثال لقـول اللـه - تبـارك وتعـالى -: {يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا لَا تُقَـدِّمُوا بَيْنَ يَـدَيِ اللَّهِ وَرَسُـولِهِ وَاتَّقُـوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[2].

(المحافظة على شعائر الدين الظاهرة والباطنـة، وجعلهـا من الأمـور الـتي لا يمكن بـأي حـال من الأحـوال أن يقصـر عن أدائهـا، أو يتنـازل عنها: كالمحافظـة على الجمعـة والجماعـة، ونحوها من شعائر الدين.

(الاهتمام بحفظ كتاب الله - عز وجل -، حفظاً متقناً عن ظهر قلب.

(التربية على العقيدة السليمة التي لا تخالطها البدع والأهواء، وعلى مـا كـان عليـه النـبي - صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم - وأصحابه الكرام - رضي الله عنهم -، وعدم الاستهانة بـأمر من أمور العقيدة.

5) التربية على تعظيم حرمات الله - تبـارك وتعـالى - وشـعائره {ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـاتِ اللَّهِ فَهُـوَ خَيْـرٌ لَّهُ عِنـدَ رَبِّهِ}[3]، {ذَلِـكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ}[4].

6) التربية على عقيدة الولاء والبراء، وعـدم مـوالاة أعـداء اللـه من اليهود والنصارى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـواْ لاَ تَتَّخِـذُواْ الْكَـافِرِينَ

أَوْلِيَـاء مِن دُونِ الْمُـؤْمِنِينَ}[5]، وتعريفـه بـأن هـؤلاء هم أعـداء حقيقيـون لا يريـدون للأمـة المسـلمة الخـير ولا الصـلاح {وَلاَ يَزَالُـونَ يُقَـاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَـرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْـتَطَاعُواْ}[6]، والكشف لـه عن مخططـات العـدو الكـافر الاسـتعمارية سـواء كانت عبر الغـزو الثقـافي، أو الغـزو العسـكري، وكـل وسـائل الأعداء.

هذه الأمور من أهم الأمور في تربية الأبناء داخل الأسرة المسـلمة، وتنشئتهم عليها، وعلى أن تكون من منهج حياته وسلوكه، حـتى إذا كبر ودخل إلى المحضن الثـاني من محاضـن التربيـة يكـون قـد ألمّ بأهم الأمور في حياته الدينية، وهنا ننتقل إلى المحضن الثاني.

ثانياً: المدرسة:

على عـاتق القـائمين على العمليـة التربويـة في مـدارس التحفيـظ تقع مسؤولية كبيرة في تربيـة الأجيـال، وبناءهـا بنـاءً صـحيحاً على المنهج الذي أراده الله - عز وجل -، وأراده رسوله - صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم -، ولا يكمـل دور مدرسـة التحفيـظ إلا بالتواصـل مـع المحضن الأول والأساس ألا وهـو الأسـرة، فبالتواصـل مـع الأسـرة توجد لنـا عمليـة تكامليـة في التربيـة، ودور المدرسـة مكمـل لـدور الأسرة، فالمدرسة تعمل على تأكيد المفاهيم الصحيحة التي تـربى عليها الناشئة في الأسرة، لأن دور المدرسـة لا يقتصـر على التعلم فقـط بـل هـو أكـبر من ذلـك، فـدورها يشـمل التربيـة والتعليم،

والتثقيف، وتصحيح العقائد... إلخ، ولهذا فإن على المدرس مراعاة كثير من الأمور منها:

) **أن المدرسة هي المحضن الذي يتلقى الطالب فيه العلم والتربية، فهي مكان القدوة، والتزود بالأخلاق، والتجدد في التفكير.**

2) **أن الطالب في المدرسة أمانة، وعلى القائمين على هذا المكان استشعار حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - حيث يقول: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول:** ((**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته... الحديث**))[7]**، وأن على المدرسة غرس المفاهيم الإسلامية الصحيحة، وإزالة البدع التي تنتشر من خلال ما هو سائد في أوساط المجتمع.**

) **واجب المدرسة تنمية الأخلاق الحسنة الفاضلة، والقضاء على الأخلاق السيئة الفاسدة، ومعالجة الأخطاء التي تحصل من قبل الطالب بالإقناع، والإرشاد إلى السلوك السليم.**

) **ودور المدرسة يتنوع بتنوع المراحل الدراسية التي يمر بها الطالب، وعلى المدرسة متمثلة في القائمين عليها والمدرسين؛ فهم هذه النقطة ليسهل التعامل مع الطلبة، وفهم نفسياتهم، وميولاتهم.**

) **إن المدرسة في نظر الطالب تمثل القدوة والأسوة، وهو**

ينهل منها بدون تفريق بين الغث والسمين، فإذا علم القائمون هذه القضية فعليهم أن يكونوا قدوة حسنة متمثلين الأخلاق الفاضلة، والمعاملة الحسنة، والتدين الذي يجعل من المدرسة مكاناً يحبه كل طالب، ويتشوق إليه كل تلميذ.

ثالثاً: المعلم أو المربي:

فالمعلم هو الأب الثاني للطالب، وهو المصدر الأول من مصادر تلقي الطالب المعلومات، والأخلاق، والمعاملات، وغيرها من الأمور الهامة في حياة الطالب، بل إن المدرس هو المربي الذي يستطيع أن يوجه سلوك الطالب سلباً أو إيجاباً؛ لأنه قدوة يقتدي به الطالب في السلوك، والأخلاقيات، والتعامل ... إلخ، ولهذا فإن المدرس أو بالأصح المربي تقع عليه مسؤولية عظيمة في بناء الأجيال؛ لأجل هذا كله ينبغي أن يكون المربي ذو صفات لا بد من توافرها فيه من هذه الصفات:

- **"العلم: فالعلم سلاح، وعدَّة المربي في عملية التربية، فلابد أن يكون لديه قدر من العلم الشرعي، إضافة إلى فقه الواقع المعاصر، والثقافة العالية التي تفوق كل تخيلات الطالب؛ حتى إذا أتى سؤال من الطالب عن شيء ما يستطيع المربي أن يجيب، أما المربي الذي تنحصر ثقافته في إطار معين، أو هو محدود الثقافة؛ فإنه يحول بجهله بين تلامذته وبين الحق.**

- **الأمانة بشتى صورها ومظاهرها، فمن مظاهر الأمانة أن يكون**

المربي حريصاً على أداء العبادات، آمراً بها، ملتزماً بالشرع في شكله الظاهر والباطن، فيكون قدوة في بيته ومجتمعه، متحلياً بالأمانة، يسلك في حياته سلوكاً حسناً، وخُلُقاً فاضلاً مع القريب والبعيد في كل حال، وفي كل مكان؛ لأن هذا الخُلُق منبعه الحرص على حمل الأمانة بمعناها الشامل.

- **يحتاج المربي أن يتعلم أساليب التربية الإسلامية، وأن يتعرف على المراحل التي يمر بها الطالب، لأن كل مرحلة لها قدرات واستعدادات نفسية وجسدية، وعلى حسب تلك القدرات يختار المربي وسائل زرع العقيدة والقيم، وحماية الفطرة السليمة، ولذا نجد اختلاف الوسائل التربوية بين الأطفال إذا اختلفت أعمارهم، بل إن الاتفاق في العمر لا يعني تطابق الوسائل التربوية؛ إذ يختلف باختلاف الطبائع، وعلى المربي أن يعرف ما في عصره من مذاهب هدَّامة، وتيارات فكرية منحرفة، فيعرف ما ينتشر بين الشباب والمراهقين من المخالفات الشرعية التي تَفدُ إلينا؛ ليكون أقدر على مواجهتها ومحاربتها، وتربية الأبناء على الآداب الشَرعية**.

- **العدل**: **والعدل أمر مطلوبٌ في المعاملة وفي كل شيء، حتى أن الرسول** - **صلى الله عليه وآله وسلم** - **نهى عن تمييز أحد الأولاد بعطاء دون الآخر، إلا أن هناك أسباباً تبيح تمييز بعض الأولاد كاستخدام الحرمان من النفقة عقاباً، وإثابة المحسن**

بزيادة نفقته، وهذا من الأساليب التربوية للطفل.

. **الحرص: وهو مفهوم تربـوي غـائبٌ في حيـاة كثـير من الأسـر والمربين، فيظنون أن الحرص هو الدلال أو الخوف الزائـد عن حده، والملاحقة الدائمة، ومباشرة جميـع حاجـات الطفـل دون الاعتماد عليه، وتلبية جميع رغائبه، والأم التي تمنـع ولـدها من اللعب خوفاً عليه، وتطعمه بيدها مع قدرته على الاعتمـاد على نفسه، والأب الذي لا يكلف ولـده بـأي عمـل بحجـة أنـه صـغير؛ كلاهما يفسده، ويجعله اتكالياً، ضـعيف الإرادة، عـديم التفكـير، والدليل المشاهَد هو: الفرق الشاسع بين أبناء القرى والبوادي وبين أبناء المدينة، والحرص الحقيقي المثمر: إحسـاس متوقـد يحمل المربي على تربية ولده، وإن تكبَّد المشاق، أو تألم لذلك الطفل، وله مظاهر منها:**

- **الـدعاء: إذ أن الـدعوة في ظهـر الغيب من الـدعوات المسـتجابة فعن صـفوان (وهـو ابن عبـد اللـه بن صفوان) وكانت تحته الدرداء قال: قدمت الشام فأتيت أبـا الـدرداء - رضـي اللـه عنـه - في منزلـه فلم أجـده ووجدت أم الدرداء فقـالت: أتريـد الحج العـام؟ فقلت: نعم، قالت: فادع الله لنا بخير فإن النـبي - صـلى اللـه عليه وسلم - كان يقول: ((دعوة المسـلم لأخيـه بظهـر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه**

بخير قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل))[8].

- **المتابعة والملازمة: لأن العملية التربوية مستمرة طويلة الأمد، ولا يكفي فيها التوجيه العابر مهما كان خالصاً صحيحاً.**

6. **الحزم: وبه قوام التربية، والحازم هو الذي يضع الأمور في مواضعها، فلا يتساهل في حال تستوجب الشدة، ولا يتشدد في حال تستوجب اللين والرفق، وضابط الحزم: أن يُلزم المربي الطالب بما يحفظ دينه وعقله، وبدنه وماله، وأن يحول بينه وبين ما يضره في دينه ودنياه، وأن يلزمه التقاليد الاجتماعية المرعيَّة في بلده ما لم تعارض الشرع قال ابن الجوزي - رحمه الله -: "فإنك إن رحمت بكاءه لم تقدر على فطامه، ولم يمكنك تأديبه، فيبلغْ جاهلاً فقيراً"[9]، وإذا كان المربي غير حازم فإنه يقع أسير حبه للولد فيدلّله، وينفذ جميع رغائبه، ويترك معاقبته عند الخطأ، فينشأ ضعيف الإرادة، منقاداً للهوى، غير مكترث بالحقوق المفروضة عليه.**

7. **الصلاح: فإن لصلاح الآباء والأمهات والمربين أثر بالغ في نشأة الأطفال على الخير والهداية - بإذن الله -، وقد قال سبحانه: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ**

تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا }10 **ففيه دليل على أن الرجل الصالح يُحْفَظ في ذريته، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم، ودليل آخر هو أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أخرج جيلاً فريداً هم الصحابة - رضي الله عنهم -.**

. **الصدق**: **وهو التزام الحقيقة قولاً وعملاً، والصدق أمر هام في حياة المربي، فالصادق بعيد عن الرياء في العبادات، والفسق في المعاملات، وإخلاف الوعد، وشهادة الزور، وخيانة الأمانات، ومن مظاهر الصدق ألا يكذب المربي على المتربي مهما كان السبب؛ لأن المربي إذا كان صادقاً اقتدى به المتربين، وإن كان كاذباً ولو مرة واحدة أصبح عمله ونصحه هباء، وعليه الوفاء بالوعد الذي وعده للطفل، فإن لم يستطع فليعتذر إليه**.

. **الحكمة**: **وهي وضع كل شيء في موضع، أو بمعنى آخر**: **تحكيم العقل، وضبط الانفعال، ولا يكفي أن يكون قادراً على ضبط الانفعال، واتباع الأساليب التربوية الناجحة فحسب، بل لابد من استقرار المنهج التربوي المتبع بين أفراد البيت من أم وأب، وجد وجدة، وإخوان، وبين البيت والمدرسة، والشارع والمسجد وغيرها من الأماكن التي يرتادها؛ لأن التناقض سيعرض الطفل لمشكلات نفسية، وعلى هذا ينبغي تعاون**

الوالـــدين واتفاقهمـــا على الأســـلوب الـــتربوي المناســـب، وتعاونهما مع المربي في المدرسة.

فهذه بعض الصفات التي ينبغي أن تتوافر في المربي، وتكــون من الأمور الجبليِّة لديه، وهنا نشير إلى أن المدرسة لفظ شامل يشـمل المدرسـة، والتحفيـظ، والمسـجد، وكـل الأمـاكن الـتي هي منهـل للطـالب ينهـل منهـا العلم، والمعرفـة، وعلى الأب وولي الأمـر أن يحبب المسجد إلى نفس الطفل، وأن يشعره بأنه في أمس الحاجة لهذا المكان المبارك."[11]

ختاماً:

حين يتـوفر في الأمـة الأسـرة الملتزمـة، المتمسـكة بتعـاليم ربهـا، ويتوفر المدرسة الناجحة المنضبطة، وفـوق كـل هـذا يـأتي القـدوة وهــو المــدرس النــاجح، والمــربي الــذي يســتطيع جــذب التلاميــذ والمـتربين إليـه (إلى المنهج لا إلى الشـخص)، ويسـتطيع أن يجعـل الطالب محباً لمدرسة التحفيظ، والأستاذ بدوره يقـوم على محاربـة الأخطاء التي تظهر على الطلاب سواء كانت أخلاقية، أو عقديـة، أو أي أخطاء كـانت، ويعالجهـا العلاج الصـحيح والسـليم، ويسـتطيع أن يسير بالطلاب على المنهج الذي ربى النبي - صـلى اللـه عليـه وآلـه وسلم - أصحابه؛ هنا نسـتطيع القـول بأنـا نبـني جيلاً مسـلماً فريـداً على منهج النبوة، سائراً على طريـق الصـحابة - رضـي اللـه عنهم -، وحينها فقط تعود للأمة مكانتها، ويعـود للأمـة هيبتهـا الـتي فُقِـدت

منها بسـبب بعـدها في منهج التربيـة عن المنهج الـتربوي السـليم، النابع من كتاب الله - عز وجل -، وسنة نبيـه - صـلى اللـه عليـه وآلـه وسلم -.

نسأل الله - عز وجل - أن يهـدي شـباب الأمـة، وأن يوفقنـا إلى كـل خير، إنـه ولي ذلـك والقـادر عليـه، وصـلى اللـه على سـيدنا محمـد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، والحمد لله رب العالمين.

---

1 **سورة الإسراء** (24).
2 **سورة الحجرات** (1).
3 **سورة الحج** (30).
4 **سورة الحج** (32).
5 **سورة النساء** (144).
6 **سورة البقرة** (217).
7 **البخاري** (5188)، **ومسلم** (4828).
8 **مسلم** (4914).
9 **صيد الخاطر** (1/335).
10 **سورة الكهف** (82).
11 **كيف تربي ولدك** (1-13) **بتصرف**.